مقال (Article Reviw) بعنوان

البريد ودوره في الدولة العربية الاسلامية

جامعة بغداد/ كلية التربية –ابن رشد للعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

إعداد

م. د. إخلاص أمانة ماهي عيسى

Ikhlas.amana@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

كان نظام البريد من الأنظمة التي عكست روعة التطور الحضاري للدولة العربية الإسلامية في كافة مجالاتها الإدارية والاقتصادية والعسكرية والدينية والعلمية والسياسية فقد كان مرتبطاً ارتباطاً مباشراً أو غير مباشر في كافة مفاصل الدولة بصفته حلقة الوصل التي كانت تأتي بالأخبار والأوامر من مركز الدولة إلى أقاليمها هذا من الناحية العسكرية والسياسية والإدارية من خلال الاتصال المباشر بالخليفة .

وهذا ما سنتعرف عليه في مقالتنا هذه .

قبل أن نتحدث عن البريد كنظام أو مؤسسة في الدولة العربية الإسلامية، توجب التعرف على معناه ونشأته عبر تاريخ الدولة العربية الإسلامية، فضلاً عن أهميته بالنسبة لأمن الدولة ، مروراً بأنواعه.

١. أطلقت كلمة (بريد) ، والتي يراد بها عدة معانٍ نتعرف عليها تباعاً . منها أطلقت على المسافة بين المنزلتين أو السكتين فقد ورد أن كل ما بين المنزلتين فهو بريد[١] ، وهي مسافة معلومة مقدرة[٢] .

٢. والبريدُ جاء أيضاً بمعنى الرسول المُبْرد على دَواب البريد ، وإبراده وإرساله ، وقال (الزمخشري) أنّ البُرْدُ ساكناً جمعٌ وهو الرسولُ[٣] .

٣. كما وقيل لدابَّة البريد بَريدٌ لسيره في البريد ، فقد ورد أن البريد البغلة المرتَّبة في الرِّباط ، تعريب (بريده دم) أي مقصوص الذنب ، ثم سمي به الرَّسول المحمول عليها ، ثم سميت به المسافة[٤] .

وقد ذكر (الفيروزآبادي) أن البريد في الأصل الدابة المرتبة في الرباط ثم سمي به الرسول المحمول عليها ، ثم سميت به المسافة المشهورة[٥] .

ومن معاني البريد يقال لطائر ((الفرانق)): البريد فيقول ابن منظور[٦]: والفرانق البريد ، وهو الذي ينذر قدام الأسد ، وقيل: فرانق البريد سبع يصيح بين يدي الأسد كأنّه ينذر الناس به[٧] .

وأخيراً أطلق (البريد) على الرسائل نفسها التي ترد من مرسليها .

- **أصل البريد :**

وعن أصل البريد فقد اختلف المؤرخين فيه فالبريد في معناه اللغوي والاصطلاحي عربي الأصل أما المنشأ ، فيرى البعض من الباحثين أن أصله يرجع إلى قدماء العراقيين من سومريين وأكديين وبابليين وآشوريين الذين سبقوا الفرس واليونان فيه من حيث أنه أقدم تنظيم بريدي ظهر عند الأمم العراقية في وادي الرافدين[٨] .

ولم يكن يعرف البريد عند العرب قبل الإسلام كنظام أو مؤسسة بل عرفوا وسائله ، وطرقه، وصاحبه، ومهامه، حسبما جاء في كتب المصنفين[٩] ، وهذا يدل على أهميته التي عرف بها في تاريخ الأمم العربية والأعجمية .

وقد عرفه الناس عندما أحسوا بحاجتهم للتواصل مع الغير لاسيما مع بعد المسافة ونستطيع أن نستعرض معرفة الناس بالبريد حسب الحقب الزمنية مستدلين بآيات من القرآن الكريم وكذلك ما وثقه الأدب العربي والشعر الجاهلي هذا بالنسبة للحقبة التي سبقت مجيء الإسلام ، ومن ثم صدر الإسلام أو عهد النبوة والخلافة الراشدة مروراً بالحقبتين الأموية والعباسية وما شهده (البريد) من تطور نتعرف عليه تباعاً .

فقد ذكر أن إبراهيم (عليه السلام) هو أول من برّد البريد[١٠] ومن الآيات القرآنية الصريحة التي أشارت إلى الرسل والرسائل – البريد– ودورها في نقل الأخبار والمعلومات هي التي جاءت في سورتي (يوسف) و (النمل) واللاتي جاء فيهم إشارات إلى البريد فقد فسر عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) ما جاء في قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى

وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١٢]، بأنه الذي جاء بقميص يوسف (عليه السلام) لأبيه (يعقوب) هو البريد . وأن الذي جاء بقميص يوسف (عليه السلام) لأبيه (يعقوب) هو "البريد" وقد فسر عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[١١] .

وفي قوله تعالى: ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾[١٣] . وهذا نص صريح للإشارة إلى البريد سواء ككتاب مرسل أو رسول يقوم بنقل الرسائل أدى مهمته (الهدهد) ليحمل هذا الكتاب إلى بلقيس ملكة سبأ التي فتحت الكتاب وقرأته والذي جاء فيه حسب ما ورد في القرآن الكريم ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ (*) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[١٤] وهذا دلالة على أنه أول بريد جوي وكان سليمان (عليه السلام) أول من برده .

وقد عرف البريد عهد ملوك العرب والفرس والروم ، وقد استعمل العرب الخيل في نقل بريدهم[١٥] ، وكذلك كان يفعل الروم[١٦] .

وإذا ما انتقلنا إلى عهد (النبوة والخلافة الراشدة) نجد أن البريد قد عرف في عهد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ البدء بنشر الدعوة الإسلامية من خلال إرساله الرسائل إلى ملوك العالم في وقته ورؤساء القبائل خارج الجزيرة لدعوتهم للدين الإسلامي ، وقد وضعت بعض المعايير والأسس التي اعتمدت من قبل الخلفاء والملوك والرؤساء من بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كأسس لاختيار الرسول بريداً لنقل الأخبار والرسائل فقد روي عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: " إذا أبردتم إليَّ فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم"[١٦] .

وقد اتخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتماً يختم به الرسائل والتي كانت منها داخلية وكذلك خارجية أي خاطب بها الملوك والرؤساء خارج شبه الجزيرة العربية مثل ملوك

الروم والفرس والقبط وغيرهم وقد أحصيت من قبل المؤرخين بأكثر من ثلاثمائة رسالة موجهة إلى حكام العالم في عصره ، والتي كان لها أثر عظيم في نشر الدعوة الإسلامية وتعريف هؤلاء الأمراء والملوك والأباطرة بالدين الإسلامي وإلزامهم الحجة لتكون التبعة عليهم والوزر إن لم يؤمنوا وهذا كان الهدف من هذه البرد التي أرسلها الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إليهم[١٧] .

هذ فضلاً عن استخدام البريد في إيصال الرسائل والأوامر من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى باقي أنحاء الجزيرة العربية فتطلب الأمر وجود الرسل الذين يتولون إيصال هذه الرسائل من مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) باعتبارها مقر القيادة المركزية إلى باقي أنحاء الجزيرة .

وفيما بعد وبتوسع رقعة الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين وتوسع عمليات الفتوح الإسلامية وتحرير الأراضي العربية ، اقتضت الحاجة أن يكون الخليفة على علم بكل مجريات الأمور ومعرفة أخبار هذه الأقاليم والأمصار ، فضلاً عن معرفة ما يجري في ساحات المعارك ونتائجها فكان لابد من وجود اتصال دائم مع الجيوش ووصول الأخبار بانتظام وبشكل سريع ولاسيما في عهد الخليفة الأول (أبو بكر الصديق) (رضي الله عنه)، الذي كان للبريد في عهده دوراً كبيراً في حروب الردة ، من خلال دور الرسل الذين كانوا قد برزوا لأداء هذه المهمة ما بين الجبهات ومقر القيادة أمثال (أبو خيثمة النَّجاري)، و (أبو بررة الأسلمي) و (سلمة بن سلامة) و (سلمة بن قش) [١٨] الذين من خلالهم كان الخليفة (أبو بكر) (رضي الله عنه) على اتصال مع كل الجبهات وتحركاتها .

أما في عهد الخليفة الثاني (عمر بن الخطاب) (رضي الله عنه) فقد شهد عهده (رضي الله عنه) توسعاً للدولة العربية الإسلامية ، وأصبحت هناك مناطق وأقاليم نائية عن مقر الخلافة ، فكان لابد من تذليل هذه الصعوبات لكي يسهل تنظيمها إدارياً فكان البريد من أهم الأمور التي ساعدت الدولة على ذلك[١٩] .

وقد ظهرت في حدود سنة (١٣هـ/٦٣٤م) في خلافة (عمر بن الخطاب) (رضي الله عنه) أول شارة لاستخدام البريد وهذا ما أورده (الطبري ت٣١هـ/٩٢٢م) الذي قال: "إن البريد

قدم على المسلمين من المدينة بموت أبي بكر وبعزل خالد بن الوليد ، وتأمير أبي عبيدة وهم باليرموك ، وقد التحم القتال بينهم وبين الروم"[٢٠] .

وقد جاء ذكره في موضع آخر "إذ قدم البريد من المدينة ، فأخذته الخيول..."[٢١] .

وهذا يشير إلى تزايد الاعتماد على البريد في نقل الأخبار خلال معارك التحرير والفتح في العراق وبلاد الشام ومصر، وهذا ما سنلاحظه خلال العهد الأموي (٤١-١٣٢هـ/٦٦١-٧٤٩م) والذي بدأ يزداد فيه الاعتناء بالبريد عناية فائقة ، فكان خلال هذه الحقبة إنشاء (ديوان البريد) الذي أنشأه معاوية بن أبي سفيان[٢٢] ، علماً أنه وبالرغم من عدم ظهور مصطلح (ديوان البريد) قبله –أي خلال عهد الخلافة الراشدة – إلا أن تحديد مراحل البريد وسككه ووضع التاريخ على الكتب والرسائل وختمها بالطين ما هي إلا دلالة واضحة إلى أن تنظيمات البريد كانت مطبقة في كل أقاليم وأمصار الدولة العربية الإسلامية من أجل تأمين وصول الأخبار بصورة سريعة .

(أغراض البريد)

وكانت هناك أغراض عديدة لديوان البريد إذ كان بمثابة جهاز رقابة دائم على الولاة والأقاليم والعمال ، كما كان وسيلة إلى سرعة وصول الأخبار وما يستجد من أمور وأحوال هذه الأقاليم والولايات ، فضلاً عن أنه كان وسيلة لحفظ المال ووصوله من الولايات إلى المراكز .

وقد امتاز "البريد" بعدة صفات ومنذ بدايات العهد الأموي لاسيما في عهد معاوية بن أبي سفيان أهمها سرعة وصول الأخبار بالإضافة إلى التكتم على هذه الأخبار ، وحزم الكتب إذ أوجد (ديوان الخاتم) في عهد معاوية بن أبي سفيان[٢٣] .

أما في عهد (عبد الملك بن مروان) فقد تطور (البريد) تطوراً كبيراً ، لاسيما بعد استقرار الحكم في عهده فكان تطور البريد ضمن تطور النظام الإداري والمالي في عهده فنجد أن البريد العسكري بلغ درجة عالية من الدقة في التنظيم والسرعة وهذا ساهم في تحقيق الانتصار على جيوش الأعداء والتمكن من القضاء على الحركات المناوئة للأمويين، ولهذا فقد أصبح (البريد) أداة مهمة في إدارة شؤون الدولة .

أما في العهد العباسي الذي انتقل إليه الحكم بعد سقوط الدولة الأموية فقد ارتفع شأنه ومكانته – أي البريد – وظهرت وظيفة (صاحب البريد) وكما كان ديوان البريد من أخطر المؤسسات في الدولة العربية الإسلامية كونها جهاز رقابة دائم على الولاة والعمال فأن وظيفة (صاحب البريد) التي ظهرت بحكم تطور كل أجهزة الدولة في العصر العباسي ، فأن صاحب البريد يعد من أكثر رجال الدولة أهمية كونه يمثل سلطة رقابية على تصرفات أصحاب المناصب الرفيعة في الدولة ورجال السلطة في الخلافة الإسلامية ، فضلاً عن انه هو الذي يتولى الإشراف على إيصال أوامر الخليفة إلى العمال والولاة في الأقاليم وتلقي التقارير والأخبار منهم لعرضها على الخليفة[٢٤] ، ويمكن تشبيهه بالعين التي ترى كل ما يجري في أنحاء الدولة للخليفة ، والتي من خلالها يتحسس المناوئين للدولة[٢٥] وهذا يعني أنه لم يكن بين (صاحب البريد) و (الخليفة) أية واسطة حتى لا يسمح لأحد بالاطلاع على الأخبار قبل إيصالها للخليفة الذي يقرر إشاعة الخبر أو كتمانه حسبما تقتضيه مصلحة الدولة ، كما كان هناك إشارة سرية بين الخليفة وصاحب بريده لا يعلم بها أحد غيرهما لضمان اعتراف الخليفة بمضمون كتاب صاحب البريد وختمه ودون هذه الإشارة لا يمكن أن يعترف الخليفة بكتاب البريد الوارد من (صاحب البريد) خوفاً من أن يكون قد أرسل الكتاب تحت التهديد[٢٦] .

وهذه الأمور كلها دليل على أهمية مكانة (صاحب البريد) من خلال ارتباطه المباشر بالخليفة إذ لم يكن بينهما أية واسطة ولبيان هذه الأهمية نسوق بعض الأمثلة لأهمية (البريد) وكذلك (صاحب البريد) ، فقد كان اهتمام الخليفة العباسي (المنصور) بسرعة إيصال البريد قد بلغ قمته ، إذ أن عماله كانوا يوافونه بالبريد مرتين كل يوم من بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب ، ولهذا فقد كان ملماً بأحوال دولته إلماماً تاماً من خلال المعلومات التي تأتيه بواسطة البريد[٢٧] .

أما في عهد الخليفة (المهدي) فقد أمر بإقامة البريد بين مكة والمدينة ، ولم يسبقه أحد من الخلفاء لهذا العمل وقد استخدمت الجمال والبغال لهذا الغرض ، والذي كان له الأثر

الكبير في ربط مركز الخلافة في بغداد بجميع أنحاء الجزيرة العربية عبر طرق مواصلات ذات جودة عالية بالتنظيم .

وكذلك كان حال البريد في تحسن وتطور خلال خلافة الخليفة العباسي (هارون لرشيد) الذي كان يقوم بتعيين (صاحب البريد) بنفسه كغيره من خلفاء بني العباس .

وازداد الاهتمام كذلك في عهد الخليفة (المأمون) الذي كان يتطلع إلى وصول الأخبار من كل مكان حتى ولو لم تكن بنظر الغير تساوي شيئاً ، ولم يكن يهمل أي معلومات يقدمها عماله لاسيما خلال فترة خلافه مع أخيه (الأمين) وانتصاره عليه فكان يخشى من العزل خصوصاً أنه كان له أكثر من جهة تعارضه[٢٨] .

ولم تقتصر مهام (صاحب البريد) على رقابة وتتبع أخبار الولاة والعمال في أقاليم الدولة العربية الإسلامية ، ولا إرسال الرسائل والأخبار بين مقر الخلافة والولاة، لاسيما التي تتضمن أوامر الخليفة إلى الولاة ، بل تعدى الأمر على المراقبة والاستخبار عن كل ما يجري من أمور في كل وظائف الدولة فيما يخص سلوك وعلاقات العمال أو القادة الإداريين وحتى العسكريين ، فضلاً عن أحوال العامة من الناس[٢٩] .

وبالنسبة للرقابة على القادة العسكريين والجند فهي إشارة على أن (البريد) ، قد أصبح له مكانة كبيرة في الدولة وأصبحت وظيفة (صاحب البريد) من الخطورة بأنه أصبح يتمتع بمكانة عالية بين كبار القادة العسكريين ورجال الحرب لأنهم أنفسهم كانوا تحت رقابة أصحاب البريد ، وهذا ما جعل حتى كبار القادة العسكريين والرجال على علم وتيقن من مكانته عند الخليفة والدولة ، وهذا يتضح لنا بصورة جلية كون الخليفة هو من يقوم بتعيين (صاحب البريد) بنفسه وذلك لأن مهمته لا تقتصر على تصدير الرسائل إلى الجهات المطلوب إرسالها إليها واستلام الوارد منها ، إنما كانت تشمل الإشراف على جميع السلطات في مختلف أنحاء الدولة العربية الإسلامية .

وقد وضعت شروط معينة لاختيار (صاحب البريد) ، منها: أن يكون ثقة في نفسه وعند الخليفة الذي يختار تعيينه ، وأن يكون لديه معرفة بما لا يحتاج فيه الرجوع إلى غيره في عمله وهو علمه بالطرق وأسبابها[٣٠] .

(مهام صاحب البريد)

وقد كانت هناك واجبات ومهام أساسية يقوم بها على تنوعها ، وهي تتعلق بجوانب رقابية ، واستخبارية ، واقتصادية ، ومعمارية ، إذ كان صاحب البريد هو عين الخليفة الباصرة ، وأذنه السامعة فينقل إليه أخبار عماله وولاته ومساعي مناهضيه وهذا كله ورد في نص توليه عهد البريد الذي ذكر في كتاب الخراج[٣١] ، ولهذا كان عليه الإلمام التام بمعرفة الطرق والمسالك والاهتمام بصيانتها ، ومعرفة طرق الأعداء ومناطق تسللهم ، وكذلك معرفة حيل الجواسيس والعيون عند التخفي ودخولهم وخروجهم والإشراف على السعاة والموظفين في محطات البريد وصرف أرزاقهم وأرزاق دوابهم .

ومن مهامه تعيين أصحاب الخرائط في سائر الأمصار ، هذا فضلاً عن واجب مهم جداً وهو دراسة كتب أصحاب البريد في الثغور والولايات وتحليلها وعرضها على الخليفة .

(أنواع البريد)

أما أنواع البريد ، فقد كان للبريد أنواع أهمها وأوسعها انتشاراً هو (البريد البري) ، الذي كان له طرق ومسالك كثيرة ومتنوعة ، وحمل أصنافاً من الأشياء التي توجب وصولها على وجه السرعة ولأهميته نجد أن هناك مؤرخين وجغرافيين عرفوا بـ (البلدانيين) قد تخصصت كتاباتهم ومؤلفاتهم بالطرق والمسالك .

ويعد البريد البري من أقدم أنواع البريد الذي استخدمه العرب والمسلمون من عهود قديمة مررنا على ذكرها في بداية موضوعنا هذا ولهذا كان أكثر انتشاراً واستخداماً طول عصر النبوة والخلافة الراشدة ، وحتى قيام وسقوط الدولة الأموية في المشرق . أما في العصر العباسي ، فقد ظهر (بريد السعاة) الذين كانوا يسير الواحد منهم في كل يوم أكثر من أربعين فرسخاً ، وكان هذا النوع الغاية منه عند حدوث أزمات وحروب لا يمكن من خلالها وصول البريد ببعث الخيل مع انعدام الاطمئنان لوصوله بسلام فحينئذ يكون السعاة خير من يوصل الأخبار والرسائل دون أن ينكشفوا ، فضلاً عن ذلك هناك مناطق جبلية وعرة يتعذر فيها سير الدواب ، وهنا يتم اللجوء إلى بريد السعاة كونهم رجال خفاف تعودوا

الجري والصبر على السير لمسافات طويلة واعتادوا سلك الطرق الوعرة ، وعلى هذا الأساس كان يدفع لهم أجور عالية لإيصال الرسائل والأخبار .

والواقع أن هذا النوع من البريد استخدم كثيراً في البريد العسكري لاسيما في الجيش العباسي في خلافة (المعتصم بالله العباسي) وتحديداً في معركة (عمورية)[٣٢] ، وقد كان يطلق على هؤلاء السعاة تسميات مختلفة حسب نوع المهمة التي يقومون بها فمنهم ما كان يسمون (الفيوج) وهؤلاء رسل البريد الذين ينقلون الأخبار والرسائل من بلد إلى آخر ولا يشترط فيهم السير على أقدامهم دائماً لأن المسافات التي يقطعونها طويلة جداً[٣٣] .

وهناك من عرفوا باسم (الشعوذي) وهم رسل الأمراء إلى أصحاب البرد في الأقاليم ، وقد عرف نظام البريد نوعاً آخر من السعاة هم (الكوهبانية) أي أصحاب الأخبار المكلفون بنقلها بين القطعات ، وإعطاء أصحاب الأخبار المكلفون بنقلها بين قطعات الجيش ، وإعطاء الإشارات إلى أمراء الوحدات العسكرية لإعلامهم بكل أخبار العدو، وقد عُمل هؤلاء الكوهبانية كأدلاء يرافقون القطعات المتقدمة من الجيش ليدلوها على الطرق والمسالك الصحيحة ، وأخيراً هناك مجموعة او مسمى آخر ظهر ضمن نوع البريد العسكري وهم ما يطلق عليهم اسم (الفراونقيون) وهؤلاء يتولون حمل الرسائل والخرائط بين الولاة وكبار الموظفين في الأمور التي تستدعي السرية ووجوب التنفيذ، فضلاً عن دورهم بتأمين سير السعاة والخيالة والإشراف على محطات البريد.

ومن أنواع البريد التي اهتم بها الخلفاء والأمراء والعلماء (بريد الحمام الزاجل) ، والذي كان له دور كبير في إيصال الأخبار وسرعة وصولها ، وعلى الرغم من أن (البريد الجوي) ظهر واتسع في العصر العباسي وما بعده . إلا أننا إذا ما رجعنا إلى حقب موغلة بالقدم لا يمكن أن ننسى قصة الهدهد مع نبي الله (سليمان) ودوره في نقل كتاب سليمان (عليه السلام) إلى ملكة سبأ بلقيس .

كما ظهر نوع من أنواع البريد والتي نشطت أيضاً في العصر العباسي هو (البريد النهري) ، وقد استفاد العباسيون من الأنهار والمجاري المائية في نقل الأخبار وإيصال الرسائل والكتب والأوامر من خلال السفن المخصصة لهذا الغرض أي سفن البريد ، وفي

مناطق أخرى من الدولة العربية الإسلامية لاسيما الجهات الواقعة في شمال بلاد الشام والتي كانت خاضعة للإمبراطورية البيزنطية من قبل استخدمت (النيران) كوسيلة لنقل الأخبار لأن بيزنطة كانت تستعملها ولهذا كانت (النار) وسيلة محدودة بهذه المناطق ولم تستعمل في غير ذلك من مناطق الدولة العربية الإسلامية.

وقد تم بناء أبراج عالية على المرتفعات مع بناء المناظر لمراقبة نقل الأخبار من منظرة إلى أخرى حتى يبلغ المكان المطلوب وقد ذكر (المقريزي) بأن النار قد استخدمت في نقل الأخبار في ولاية (إبراهيم بن الأغلب) على أفريقية سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م) .

وفي الختام يمكن أن نرى أن (البريد) كان من المؤسسات المهمة والخطيرة جداً في الدولة العربية الإسلامية لما كان لها من دور في أمن وسلامة الدولة من أعدائها وإيصال الأخبار والأوامر من مركز الدولة إلى كافة الأنحاء والأقاليم ، ولهذا قد يكون مصدراً للخوف والإزعاج بالنسبة للأمراء والأفراد لما قد يحمله من أخبار سيئة يخشاها المرسل إليه ربما تحمل الحزن للأمراء أو أنباء عن عزل أمير أو والي وما إلى ذلك .

وقد يذم البريد بين الناس لأن مهمة صاحب البريد هي نقل الأخبار بعد الحصول عليها في الغالب عن طريق التجسس وبث العيون على جميع أفراد الدولة ولهذا نظر الناس إلى أصحاب الأخبار بخوف وتشاؤم .

وأخيراً وليس آخراً نجد أن صاحب البريد في العصر العباسي أخذ يطلق عليه تسمية (صاحب البريد والأخبار) دلالة على أن مهمته لم تقتصر على نقل الرسائل والقيام بالخدمات البريدية إنما امتدت إلى مراقبة أوضاع ولايات الدولة وعمالها ونقل أخبارها إلى الخليفة العباسي في العراق .

المصادر والمراجع:

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، د.ت ، ج٣، ص١٨٦، (برد) .

(٢) أختُلف في مقدار المسافة بين السكتين على مذهبين الأول أربعة فراسخ، والثاني فرسخين والفرسخ ثلاثة أميال، وقد علل (الحموي) هذا الخلاف بأن الأول لأهل البادية أما المذهب الثاني فهو لأهل الشام وخراسان، ينظر: ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ص٢٣.؟

وقد فصل العرب في وحدات البريد تفصيلاً دقيقاً إذ ذكر (العمري) أن البريد أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل ثلاثة آلاف ذراع بالهاشمي، وهي أربع وعشرون إصبعاً، ينظر: القاضي شهاب الدين، التعريف بالمصطلح الشريف، د.ط ، مطبعة العاصمة، مصر، ١٣١٢هـ ، ص١٨٤ ، وقد أيده (القلقشندي) بذلك، أحمد بن علي الفزاري، تحقيق: عبد القادر زكار، د.ط ، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١م، ج١٤، ص٤١٢، واختلفا – أي العمري والقلقشندي– في وحدات الإصبع فهي عند (القلقشندي) ست شعيرات معترضات ظهر أحدها لبطن الأخرى، والشعيرة سبع شعيرات معترضات من ذنب بغل أو برذون، أما (العمري) فقد جعل الإصبع أربع شعرات، والشعيرة أربع شعيرات من ذنب بغل، فهذا هو البريد المعمول به .

* ملاحظة (جاء في كتب الحديث) لا يجوز القصر في السفر في أقل من أربعة (بُرد) أي: في ستة عشر فرسخاً، أو ثمان وسبعين ميلاً بالهاشمي وهذا ما رُوي عن (ابن عمر وعبد الله بن عباس) (رضي الله عنهما)، ينظر: البخاري، الجامع الصحيح، تحقيق: مصطفى أديب البغا، (ط٣)، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، ١٩٩٨٧م، ج١، ص٣٦٨.

(٣) محب الدين أبو فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، شرح القاموس المسمى (تاج العروس) ، د.ط ، دار الفكر، د.ت ، ج٢، ص٢٩٨.

(٤) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، د.ط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص١٩١ .

(٥) محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، د.ط ، مؤسسة الحلبي، مج١، ص٢٧٧؛ وينظر: الكتاني، عبد الحي، التراتيب الإدارية، ج١، ص١٩٢ .

* (الفرانق) يذكر (الخوارزمي) أن لفظة الفرانق تقال للحامل للخرائط، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب، (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م)، مفاتيح العلوم، عني بتصحيحه ونشره: إدارة الطباعة المنيرية، ط١، مطبعة الشرق، ١٣٤٢هـ ، ص٤٢. (والفرانق) هو الذي يدل صاحب البريد على الطريق، معربة، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مج١، ص٢٧٧.

(٦) لسان العرب، ج١٠، ص٣٠٧ (برد).

(٧) ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق: منير البعلبكي، ط١، دار الملايين، بيروت، ١٩٨٧م، مج٢ ، ص٢٠٨، (برد) .

(٨) باقر، طه– عبد الواحد فاضل وسلمان عامر، تاريخ العراق القديم، د.ط ، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٠م، ج١، ص١٤٥؛ سوسة، د. أحمد، حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، د.ط ، وزارة الإعلام، بغداد، ١٩٧٩م، ص١٣٨ .

(٩) ابن طباطبا، محمد بن علي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، د.ط ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م، ص١٠٦؛ باقر وآخرون، تاريخ العراق القديم، ص١٤٥ .

(١٠) ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م) تفسير القرآن العظيم، د.ط ، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ، ج١، ص١٦٧ .

(١١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، د.ط، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ ، ج٣، ص١٦٣ .

(١٢) سورة يوسف، الآية (٩٦) .

(١٣) النمل، الآية (٢٨) .

(١٤) النمل، الآية (٢٩–٣٠) .

(١٥) ميتز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية: محمد عبد الهادي أبو ريدة، د.ط ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٧م، ج٢، ص٤١٠ .

(١٦) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد، د.ط ، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧هـ ، ج٨، ص٤٧؛ ابن حيان، أبو حاتم محمد، صحيح ابن حيان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، د.ط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١١ ، ص٢٢٣ .

(١٧)حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي، ط٧، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٦٥م، ص١٥٧ .

(١٨) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٤٣٥ ؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ١٩٨٤، ج٢، ص٥٠٣.

(١٩)العزاوي، خالد عبد الرزاق مهدي، البريد في التاريخ، ط١، بغداد، ٢٠٠٢م، ص٤٣، ٤٩، ٥٠ ؛ ساعاتي، د. فوزي محمد، فتوح أهم مدن الشرق من كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي في خلافتي أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رض) (١١-٢٣هـ)، بحث منشور في مجلة (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، العدد٢٩ ، محرم ١٤٢١٢هـ ، ص٥٢٦، ٥٢٧ .

(٢٠)تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ٤٣٥ .

(٢١)الطبري، المصدر نفسه، ص٣٩٨؛ ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٠٦.

(٢٢)الطبري، المصدر نفسه، ج٥، ص٣٢٥؛ قدامة بن جعفر، أبو الفرج بن زياد البغدادي (ت٣٢٠هـ/٩٣٢م)، كتاب الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، د.ط ، بغداد، ١٩٨١، ص٧٥، ٧٧- ٧٨.

(٢٣)ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م)، المنتظم، ط١، دار صادر، بيروت، ١٣٥٨هـ ، ج٧، ص٣٤٧ ؛ وينظر: أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ/٧٩٨م)، كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، (١٢٩٩هـ/١٩٧٩م)، ١٨٦.

(٢٤)اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان، مرآة الجنان، د.ط ، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج٢، ص٣٦ .

(٢٥)الكندي، محمد بن يوسف، ولاة مصر، د.ط ، دار صادر، د.ت ، ص٨٠؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ ، ج٦، ص١٦ .

(٢٦)قدامة بن جعفر، نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، ص١١-٤٨ .

(٢٧)قدامة بن جعفر، المنزلة الخامسة من كتاب الخراج، ص٢٠١ .

(٢٨)* ظهرت طبقة من الكتاب تخصصت بكتابة وتأليف مؤلفات خاصة بالمسالك والطرق البرية والبحرية ومعرفة وتحديد المسافات ووصف الطرق منهم ابن خرداذبه في كتابه (المسالك والممالك) وأبو عبيد البكري وغيرهم .

(٢٩)ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٤٢٥.

(٣٠) خولة عيسى، نشأة البريد، ص٧٣-٧٤.

(٣١) المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت٨٤٥هـ) الخطط المقريزية، د.ط ، مطبعة النيل، مصر، ١٣٢٦هـ ، ج١، ص٢٨٠ .